

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ
لَآتِيَةٌ فَاصْصَفْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ
(85) ﴾

شرح الكلمات:

{وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية} لا محالة فيجزي كل أحد بعمله
{فاصصف} يا محمد عن قومك
{الصفح الجميل} أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق} أي إلا من أجل أن أذكر وأشكر، فلذا من كفر بي فلم يذكرني وعصاني فلم يشكرني أهلكته. لأنني لم أخلق عدا الخلق العظيم لهواً وباطلاً وعبثاً. وقوله: {وإن الساعة لآتية} أي حتماً لا محالة وثم يجزي كل بما كسب فلا تحزن على قومك ولا تجزع منهم فإن جزاءهم لازم وآت لا بد، فاصبر واصفح عنهم وهو معنى قوله تعالى {فاصصف الصفح الجميل} أي الذي لا جزع معه. وقوله {فاصصف الصفح الجميل} وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر

والتواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا.

وقوله وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق دالتين على كمال خالقهما واقتداره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لآتية لا محالة؛ لتوفى كل نفس بما عملت، فاعف -أيها الرسول- عن المشركين، واصفح عنهم وتجاوز عما يفعلونه. وفي هذا القول تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو حين يعلمه الله ما حاق بالأمم السابقة التي كذبت الرسل؛ هانت عليه المتاعب والمشاق التي عاناها من قومها، وليسهل عليه من بعد ذلك أن يتذرع بالصبر الجميل، حتى يأتي وعده سبحانه، وليس عليك يا محمد أن تحمّل نفسك ما لا تطيق. وقوله تعالى: {فاصصف الصفح الجميل}، والصفح يتضمن الإعراض عن الإساءة وعدم التخلي عن الدعوة والاستمرار فيها، وتضمنت كلمة الجميل بيان أن يلقاهاهم بقلب مفتوح ليفتحوا قلوبهم للاستجابة، أو ليفتح هو هذه القلوب التي أصابها غشاوة. هذا معنى الصفح الجميل، أي الإعراض في قرب ومودة وإلف من جانبه؛ ولذا كان الإسلام، ينمو ويزيد، ولا ينقص ويقل.

الوقف الأول : صفح بلا أذى .

إن الداعية والمربي الذي يتعرض للناس بالتربية والدعوة لاشك وأنه لن يعاشر أناساً لا يخطئون أو يقصرون ، بل إنه يجد الخطأ حتى من المعين الرفيق معه على الطريق . . وإساءة الآخرين إما أن تكون إساءة لك في ذاتك وشخصك وإما أن تكون إساءة في المجموعة والأفراد بعدم التزام الأمر أو التقصير في العمل . !

ونستطيع أن نتلمس الموقف النبوي والحكمة النبوية في الموقف من كلا الحالين بتطبيق هذا الأمر الرباني (فاصصف الصفح الجميل) فأما إساءة الناس لك بالشتم أو اللمز أو الهمز أو ما شابه ذلك فقابلها بالصفح الجميل الذي لا تاب فيه ولا أذى لأن الناس من

حولك منهم من يجهلك ويجهل ما تحمل !ومنهم من يكون غرر به ، ومنهم الأعراي ومنهم الحاسد الحاقد . فإنك حين تتعامل مع هؤلاء بالصفح الجميل يكون أبلغ في الأثر عليهم وأدعى لقبول دعوتك .

الوقف الثانية : صفح في لين وصفح في شدة .

إن من الصفح الجميل أن توقع العقوبة على المخطئ متى ما كان الحال يحتم عليك عدم التجاوز والتغاضي . . فالصفح الجميل أن يكون اللين في محله والشدة في محلها.

فوائد العفو والصفح

- 1- في العفو رحمة بالمسيء، وتقدير لجانب ضعفه البشري، وامتنال لأمر الله، وطلب لعفوه وغفرانه .
- 2- في العفو توثيق للروابط الاجتماعية التي تتعرض إلى الوهن والانقسام بسبب إساءة بعضهم إلى بعض، وجناية بعضهم على بعض .
- 3- العفو والصفح عن الآخرين سبب لنيل مرضات الله سبحانه وتعالى.
- 4- العفو والصفح سبب للتقوى قال تعالى: وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ [البقرة: 237].
- 5- العفو والصفح من صفات المتقين، قال تعالى وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِبِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: 133، 134].
- 6- من يعفو ويصفح عن الناس يشعر بالراحة النفسية.
- 7- بالعفو ثنال العزة، قال صلى الله عليه وسلم: ((... وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً...)).
- 8- العفو والصفح سبيل إلى الألفة والمودة بين أفراد المجتمع.
- 9- في العفو والصفح الطمأنينة، والسكينة، وشرف النفس.
- 10- بالعفو تكتسب الرفعة والحببة عند الله وعند الناس.

فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (302)



قَوَائِمُ مِنْ تَفْسِيرِ السُّورَةِ الْيَزِيدِ الْإِبْرَاهِيمِ 85

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آل عمران/190)
191 ، وقال تعالى - في بيان موقف الكفار من حكمة خلقه - :
(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) ص/27 .

8- (فاصفح الصفح الجميل) هو الصفح الذي لا أذية فيه ، بل قابل إساءة المسيء بالإحسان ، وذنبه بالغفران ، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب ..

9- الله عزّ وجل يريد أن يؤدبنا بأعلى الآداب ، و أفضلها حتى نكون متميزين في سلوكنا و أخلاقنا ليكون ذلك عامل جذب لهذا الدين ؛ و لهذا أمرنا ربنا بكل جميل ، و بالأكمل من كل خير ، و إن كان الكمال طيبة فالأكمل أطيب منه.

10- أصل الصفح الإعراض بصفحة وجهه عن ذنبه. و لذلك كان وصفاً لله تعالى، فهو عزّ وجل "الصفوح" أي العفو عن ذنب العباد، المعرض عن مجازاتهم تكريماً منه، و لذلك لما سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تقول إذا رأيت ليلة القدر؟ قال صلى الله عليه وسلم: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

11- والصفح: هو العفو مع القدرة على الانتقام، مع إخراج أثر الذنب والخطيئة من بالك.

ولكن الذي يرضاه ربنا و يحبه هو الصفح الجميل: و هو الذي يترقى فيه المؤمن إلى الإحسان إلى من أساء إليه.

12- للصفح حدود: فإذا تمادى أهل الباطل، وظنوا أن عفوك و صفحك ضعف فلا بد عندئذ من النكال، قال تعالى: { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [الزخرف:89] أي اصفح عنهم قولاً و فعلاً فإن أصروا على باطلهم وظلمهم، فلا بد من الجلاء و الجهاد.

والله اعلم ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- لم يخلق الله الخلق عبثاً بل خلقه ليعبد بالذكر والشكر، فمن عبده نجاً، ومن أعرض عن ذكره وترك عبادته أذاقه عذاب الخزي في الدنيا والآخرة أو في الآخرة وهو أشد وأخزى.

2- بيان أن الصفح الجميل هو الذي لا جزع معه.

3- لم يخلق الله تعالى الإنسان ليأكل ويشرب ويتكاثر ، فيكون بذلك كالبهائم ، وقد كرم الله تعالى الإنسان ، وفصله على كثير من خلق تفضيلاً.

4- من المعلوم عند عقلاء الناس أن الذي يصنع الشيء هو أدري بالحكمة منه من غيره ، والله المثل الأعلى فإنه هو الذي خلق البشر ، وهو أعلم بالحكمة من خلقه للناس ، وهذا لا يجادل فيه أحد في أمور الدنيا ، ثم إن الناس كلهم يجزمون أن أعضاءهم خلقت لحكمة ، فهذه العين للنظر ، وهذه الأذن للسمع ، وهكذا ، أفيعقل أن تكون أعضاؤه مخلوقة لحكمة ، ويكون هو بذاته مخلوقاً عبثاً؟! أو أنه لا يرضى أن يستجيب لمن خلقه عندما يجبره بالحكمة من خلقه؟!؟

5- بين الله تعالى أنه خلق السموات والأرض ، والحياة والموت للابتلاء والاختبار ، ليبتي الناس ، من يطيعه ليشبهه ، ومن يعصيه ليعاقبه.

6- من أعظم الأوامر التي خلق الله البشر من أجلها - وهو من أعظم الابتلاءات - : الأمر بتوحيده عز وجل وعبادته وحده لا شريك له ، وقد نصّ الله تعالى على هذه الحكمة في خلق البشر فقال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات/56 .

7- أثبت المؤمنون العقلاء الحكمة لله تعالى في خلقه ، ونفاها الكفار ، قال تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا